

الحلقة الثامنة عشرة

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله. وكنا قد تحدثنا في اللقاء السابق عن مثل الغني الغبي الذي يبيّن مخاطر الطمع. وكيف أن هذا الغني ظنّ أن بخيراته الكثيرة يستطيع أن يعيش سنين طويلة، لكن الموت فاجأه، إذ المهم أن يكون الإنسان غنياً لله.

صديقي المستمع، يُروى أن سيدة عجوز فقيرة لم تتمكن ذات يوم من شراء ما يلزمها من الفحم، وكان البرد قارساً جداً. ولكنها فوجئت بفحّام يطرق بابها وهو يحمل لها كيساً كبيراً من الفحم. فلما فتحت الباب قالت: إن هذا الفحم ليس لها، وأنها لم تطلبه. ولكن الفحّام قال: أنه أمر بإحضاره إليها، فهناك من اشتراه ودفع ثمنه لها. ولكن السيدة أصرت على عدم قبوله. وبعد جدال كثير رجع الفحّام وهو يقول: ليس لديّ وقت لأضيعه هباء وهي ترفض الاقتناع والتصديق. كانت هذه السيدة لا تزال ترتعش من البرد، ومع هذا رفضت قبول الفحم مع أنه قدّم لها مجاناً. قد تستغرب مستمعي أن يرفض البعض هدية تقدم إليهم.

عندما كان المخلص المسيح مرة يتحدّث عن أهمية ضيافة المساكين، قال له أحدهم: «طوبى لمن يأكلُ خُبْزاً في مَلَكُوتِ اللهِ». فقصّ عليه المخلص المسيح قائلاً: «إنسانٌ صنَعَ عِشَاءً عَظِيماً ودَعَا كَثِيرِينَ. وأرسلَ عَبْدَهُ فِي سَاعَةِ العِشَاءِ ليقولَ للمدعوين: تَعَالَوْا لَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ. فابتدأ الجميعُ برأيٍ واحدٍ يستعفنون. قالَ لَهُ الأوَّلُ: إِنِّي اشتريتُ حَقلاً، وَأنا مُضطرٌّ أَنْ أخرجَ وَأَنْظُرَهُ. أسألكَ أَنْ تُعفيني. وقالَ آخَرُ: إِنِّي اشتريتُ خَمْسَةَ أزواجِ بَقَرٍ، وَأنا ماضٍ لأمْتَحِنَهَا. أسألكَ أَنْ تُعفيني. وقالَ آخَرُ: إِنِّي تزوجتُ بامرأةٍ، فَذلكَ لا أَقدرُ أَنْ أَجِيءَ. فَأتى ذلكَ العبدُ وأخبرَ سيدهُ بذلكَ. حينئذٍ غضبَ ربُّ البيتِ، وقالَ لِعَبْدِهِ: اخرجْ عاجلاً إلى شوارعِ المَدِينَةِ وأزِقِّتها، وأدخُلْ إلى هُنَا المَساكِينِ والجُدَعِ والعُرجِ والعميِّ. فقالَ العبدُ: يا سيِّدُ، قَدْ صارَ كما أمرتَ، ويوجدُ

أَيْضًا مَكَانًا. فَقَالَ السَّيِّدُ لِلْعَبْدِ: اخْرُجْ إِلَى الطَّرِيقِ وَالسِّيَاحَاتِ وَالزَّمِيمِ بِالدُّخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلِيكَ الرَّجَالِ الْمُدْعُوِينَ يَذُوقُ عَشَائِي».

كانت العادة في ذلك الزمان إرسال دعوتين للحفل الواحد، الأولى للإعلان عن الحفل، والثانية بعد إتمام الاستعدادات. وفي القصة التي قصّها المسيح أهان المدعوون صاحب الحفل بالاعتذار عندما تسلّموا الدعوة الثانية. وكل منهم احتجّ بأعذار واهية تكشف عن عدم تقديرهم لهذه الدعوة واستهانتهم بها.

هل تعلم مستمعي أن الله يدعو كل واحد منّا إلى ملكوته؟ فهل ترانا نرفض دعوة الله هذه لنا؟ وهل نقدّم أعذاراً مختلفة؟ وسواء أكان العذر الذي نقدمه كأولئك المدعوين، عملاً أم زواجاً أم السعي للثروة، أم لمنصب هام، فهو يدل على استهانتنا بدعوة الله، وعدم تقديرنا لها. وقد يأتي اليوم الذي يكفّ فيه الله عن دعوتنا، ويصبح الوقت متأخراً، إذ تنقسي قلوبنا وتتعدم عندنا الإرادة لقبول الدعوة. كما تقول كلمة الله: «فِي وَقْتٍ مَقْبُولٍ سَمِعْتُكَ، وَفِي يَوْمٍ خَلَاصٍ أَعْنَتُكَ». هُوَذَا الْآنَ وَقْتُ مَقْبُولٍ. هُوَذَا الْآنَ يَوْمٌ خَلَاصٍ» (٢كورنثوس ٦: ٢).

إن تأجيل تلبية الدعوة ليس من صالحنا أبداً. ولقد لاحظنا أن صاحب البيت أرسل يدعو جميع الناس غير المستحقين بنظرنا للدعوة، وهم المساكين والجدع والعرج والعمي، المنتشرون في شوارع المدينة وأزقتها. وهذا يشير أن الله يدعو الناس الخطاة الأشرار غير المستحقين لرحمته، يدعوهم إلى ملكوته. فأتوا ولبّوا دعوته ودخلوا ملكوت الله. لا بل إن صاحب البيت كما تقول القصة طلب من عبده أن يذهب ثانية ويدعو الناس من الطرقات والسيارات، أي حثالة المجتمع الذين لا قيمة لهم ولا اعتبار، لكي يمتلئ بيته. أما أولئك الذين دعاهم أولاً ورفضوا تلبية الدعوة، فأعلن أنهم لن يذوقوا عشاءه، أي لن يدخلوا إلى ملكوت الله. وهذا يشير إلى أن الله يدعو جميع الناس ومن مختلف فئات المجتمع، لكي يدخلوا إلى ملكوته، ويحصلوا بالتالي على خلاصه. وكما قال الرسول بولس رسول المسيحية: إن الله « قَدْ اخْتَارَ جُهَّالَ الْعَالَمِ، وَضُعَفَاءَ الْعَالَمِ، وَأَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ، لِكَيْ لَا يَفْتَخَرَ كُلُّ نَبِيٍّ جَسَدٍ أَمَامَهُ» (١كورنثوس ١: ٢٧-٢٩).

مستمعي الكريم، هل تعلم من هم الناس الذين يرفضون عادة تلبية دعوة الله لملكوته وخلصه؟ إنهم بشكل عام الذين يعتقدون أنهم أناس صالحون ولا يحتاجون إلى رحمة الله ونعمته. ولهذا نراهم يضعون الأعذار المختلفة، وأن الوقت الآن غير مناسب لهم ، إذ عليهم أولاً إنجاز بعض الأعمال. بينما نجد أن الناس الذين يقرّون بخطاياهم، ويعترفون بذنوبهم، حتى ولو كانوا من أعتى الأشرار، يأتون إلى الله طالبين رحمته وغفرانه، ويلبّون دعوته للدخول إلى ملكوت الله وقبول خلاصه. وهكذا يدخل إلى ملكوت الله هؤلاء، بينما يبقى خارجة أولئك الذين يعتدّون بنفوسهم أو ببرّهم الذاتي.

إن الحقيقة التي تؤكد كلفة الله كما جاءت في الكتاب المقدس، هي أن كل البشر خطاة وبحاجة إلى نعمة الله، ولا وجود لإنسان صالح ليس بحاجة إلى رحمة الله. لكن المشكلة أن بعض الناس حتى وإن أقرّوا بأنهم خطاة، يظنون أن نعمة الله الغنيّة ليست لهم، ولهذا يموتون في خطاياهم. أي تماماً كالمرأة التي ذكرنا قصتها في بداية هذا البرنامج، التي رفضت كيس الفحم لأنها ظنّت أنه ليس لها، بالرغم من أن ثمن الكيس قد دُفع، وهكذا ظلّت ترتعش من البرد.

هل تعلم مستمعي أن الله قد دفع ثمن خطاياك بواسطة المخلص المسيح الذي مات على الصليب كفارة من أجلك؟ أجل، لقد عمل الله كل شيء لخلصك، وهو يدعوك لملكوته. وما عليك سوى قبول عطية الله المجانية لك بالفرح والحياة الأبدية. فهل تُراك تقبل الآن دعوة الله لك بالخلص ودخول ملكوته؟ أم تحاول تقديم الأعذار والتأجيل.